الصورة الذهنية لثورة التحرير الجزائرية لدى الرأي العام عبر وسائل الإعلام الجماهيرية – السينما نموذجا

أ. كلفاح أمينة
كلية العلوم الإنسانية – جامعة البليدة 2

مقدمة :

أعظم ثورات التحرر خلال القرن العشرين ، إنها ثورة التحرير الجزائرية التي كانت ملهمة للكثير من الشعوب المضطهدة حول العالم، والسبب في استقلال العديد من الدول .

لقد لقنت هذه الثورة القوى العظمى في العالم درسا في الحرية ، وعلمت كل الشعوب الخاضعة للاحتلال كيف تقول لا . ولعب الإعلام في هذا الإطار دورا حاسما ، حيث كان الوسيلة الأساسية لنقل أفكار وانجازات الثورة التحريرية إلى الرأي العام المحلي والعالمي على السواء ، وذلك بهدف نشر والترويج للصورة الحقيقة للمناضلين الجزائريين الساعين للتحرر من الاحتلال الفرنسي ، ومواجهة الحملة الإعلامية الشرسة لهذا الأخير التي كانت تسعى إلى تشويه صورة المجاهدين والثورة ككل بكل الأساليب بما أن الترسانة الإعلامية التي كانوا يتحكمون فيها هي الأقوى .

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن هدفه استغلال الخيرات الطبيعية والبشرية التي يتمتع بها البلد فحسب، وإنما كان هدفه الأساسي هو سلب الأفكار و تدمير الحضارة وتزوير التاريخ الذي هو

من مقومات كل شعب، وأسهل طريقة لتحقيق ذلك هي استغلال القدرات الإعلامية والدعائية الفذة التي كانت يتمتع بها المستعمر. وقد أدى هذا إلى تعرض الشخصية الجزائرية للكثير من الهزات العنيفة التي كادت أن تفقدها ملامحها ومقوماتها[1]. ولكن استعداد جماهير الشعب الجزائري للثورة و رفضهم للمستعمر كان بمثابة الحصانة التي ساهمت في حمايتهم من الرسائل الإعلامية الاستعمارية المبطنة بالكثير من الدعاية و المعلومات الكاذبة ، ودفعها إلى البحث عن مصادر الخبر و المعلومات الحقيقية لمعرفة ما يجري ، وقد ساهم هذا في جعل من إعلام الثورة سلاحا فعالا في مواجهة الاستعمار الفرنسي .

فبالرغم من كل الصعوبات والعراقيل التي فرضها الاحتلال ، إلا أن الإعلام الثوري الجزائري أثبت قدرة و جدارة كبيرة في إيصال رسائل الثورة إلى مختلف أنحاء العالم ، سواء ذلك الذي كان ينشط من الداخل أو الذي كان ينشط من الخارج و بالتحديد من دول عربية مثل تونس ومصر. وساهم هذا الأمر في الترويج لصورة المجاهدين الجزائريين لدى الرأي العام العربي خاصة و كسب تعاطفه مع الثورة وتأييده لها و مساندته لها خاصة إعلاميا.

ومن خلال هذه المقال نسعى إلى توضيح طبيعة الصورة الذهنية التي يملكها الرأي العام العالمي عن ثورة التحرير الجزائرية وأبطالها والتي ساهمت في صناعتها بشكل أساسي وسائل الإعلام الجماهيرية ، و بالتحديد السينما .

---

[1] نوال بن صالح ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير ، صراع اللغة و الهوية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، العدد السابع ، 2011 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 219.

لقد كان للسينما في مرحلة ما من تاريخ الجزائر دورا كبيرا في الترويج لثورة التحرير ولصورة المجاهدين والشهداء وتقديمهم بصورتهم الحقيقية كأبطال وليس كخونة ومرتزقة وخارجين عن القانون كما كان يروج له الإعلام الفرنسي الذي سعى بكل ما يملك من قوة إلى غرس في أذهان الرأي العام الفرنسي والعالمي وحتى الجزائري صورة اللص الخارج عن القانون وليس الثائر الباحث عن الاستقلال والحرية .

والواقع أنه بالحديث عن السينما نجد أننا ندخل مجالا صعبا جدا ، نظرا لأن العمل فيها يتطلب إمكانات تقنية و مادية و معرفية كان من الصعب الحصول عليها والتمتع بها في ظل الاحتكار الاستعماري لكل أنواع الإبداع ، ولكن هذا لم يمنع من أن يكون هنالك سينما ثورية جزائرية قبل وبعد الاستقلال ، بأعمال جابت مهرجانات العالم وليس الدول العربية فقط وأوصلت الصورة الحقيقية لما كان يحدث في الجزائر ، وساهمت في نشر صورة إيجابية عن المجاهدين والفدائيين الجزائريين إبان الثورة ، ذلك أن أهمية الثورات داخليا تتوقف على مدى تأثيرها الجماهيري الشامل وتعبئتها الوطنية ، وخارجيا على مدى صداها العالمي و التجاوب الدولي معها[2]

أولا : إشكالية الصورة و الصورة الذهنية و أهميتهما في المجتمعات المعاصرة:

يجمع أغلبية المهتمين بدراسة الصورة أيا كان نوعها ، على أنها دعامة أساسية من دعائم نجاح العملية الاتصالية نظرا لكون العصر

---

[2] إسماعيل دبش ، السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962 ، دار هومة ، الجزائر ، 2009.، ص7.

الذي نعيشه هو عصر الصورة بامتياز ، حيث بات لها تأثير كبير على جماهير الرأي العام في مختلف أنحاء العالم . و لا يختلف مدى تأثير الصورة و أهميتها أيا كانت طبيعتها ، سواء كانت ثابتة أو متحركة ، سواء كانت لوحة فنية أو صورة فوتوغرافية ، فلما وثائقيا أو سينمائيا ، المهم أن المكانة التي تحتلها الصورة في حياتنا لا جدال فيها . وقد زادت قوتها و سطوتها خاصة مع التطور الكبير الذي عرفته وسائل الإعلام الجماهيرية التي جعلت من الصورة قادرة على أن تدخل إلى كل بيت ولم تعد حكرا على فئة من المجتمع . و من هنا بدأت تلعب دورا جديدا و هو التأثير على عقول الجماهير و تحديد الصور الذهنية التي يكونونها عن مختلف الأحداث التي تدور حولهم .

فالصورة هي سلاح و سلطة في يد من يتحكم بها ، لأنها ليست حيادية و إنما تعبر عن موقف أيديولوجي و رسالة يغلفها صاحبها ومنتجها ليعبر عن فكره و معتقداته و انتماءاته و قناعاته ، من خلال الدلالات المرئية التي تحملها إلى المتلقي ، فهي تنقل له مجموعة من المعاني بهدف التأثير فيه و تحريك مواقفه إزاء قضية ما .

1- في ماهية الصورة و الصورة الذهنية :

1-1 الصورة :

الصورة لغة : " مشتقة من الفعل " صور " ، صور الشخص أي جعل له صورة و شكلا و رسمه و نقشه ، و الصورة جمعها صور،

ربي الشكل و كل ما يصور ، و هي الصفة فيقال صورة الأمر كذا أي
صفته [3].

ر كلمة الصورة إغريقية الأصل تعني ما يشبه و ما ينتمي إلى حقل التمثيل ،
فهي تدل لغويا على شيء ظاهري و على معنى حقيقة الشيء و هيئته [4].

الصورة اصطلاحا هي : " تمثيل ذهني للواقع أو إعادة محاكاته من خلال
الرسم و النحت ، اللوحات الزيتية والفوتوغرافية، السينما ، الكاريكاتير ، وكل
الأشياء التي تسمح بالاتصال عن طريق العين ، كما تسمح بإعطاء معلومات
وتتميز بغنى محتواها" [5] ، ومن هنا اكتسبت قوتها و قدرتها على التأثير في
نفوس وعقول الجماهير المتابعة لها خاصة عبر وسائل الإعلام الجماهيرية كما
سبق وأشرنا إليه ، فالصورة كما يشير إليها طارق عابدين هي: " مركز للتواصل
الاجتماعي و إنتاج المعنى من الثقافة المعاصرة ، حيث يتم توجيه المشاهدين
و المناورة و الإيهام بها ، و التحكم في إنتاجها و الترويج لها ، عبر وسائل و
قنوات الصور المرئية المتعددة "[6].

---

[3] قاموس المنجد في اللغة و الإعلام ، دار المشرق ، بيروت ،1986 ، ص 440.

[4] عبد الله الحيدري ، الصورة ، مجلة الإذاعة العربية ، العدد 02 ، شركة فنون للرسم و النشر
الصحافة ، تونس ، 2000، ص 106.

[5] Deutsh ; J ; Dictionnaire linguistique ; édition dictionnaires de savoirs ; «s.d »pp 344-346.

[6] طارق عابدين إبراهيم عبد الوهاب ، قراءة الصورة التشكيلية بين الحقيقة و الإيحاء ، مجلة
علوم الإنسانية و الاقتصادية ، العدد الأول ، جويلية 2012 ، جامعة السودان للعلوم و
التكنولوجيا ، ص 105.

أما الباحث في مجال علوم الإعلام و الاتصال نصر الدين العياضي ، فيعتبر الصورة : " مادة اتصالية تقيم العلاقة بين المرسل والمتلقي ، فالصورة حسبه لا تقترح رؤية محايدة للأشياء ، بل يتم قراءتها من خلال التجربة الجمالية والمخيال الاجتماعي ، وذلك لأن الصورة لا تخاطب حاسة البصر لدى المتلقي فقط بل تحرك حواسه وأحاسيسه "[7] .

ومن خلال هذه المداخلة سنركز على الصورة الفيلمية : التي تعتبر العنصر القاعدي للغة السينمائية التلفزيونية (اللغة السمعية البصرية) ، فهي تعد المادة الأولية الفيلمية ، و هي كذلك واقع مميز و معقد ، و عليه فهي منتج لنشاط آلي لجهاز ، أو آلة تقنية قادرة على الإنتاج بكل دقة وموضوعية الواقع الممثل لها ، و لكن في نفس الوقت هذا النشاط موجه في اتجاه و معنى معين يريده المخرج أو ملتقط الصورة . و على هذا الأساس تترك الصورة الفيلمية إحساسا بواقعة موضوع العرض لدى المتفرج أو المشاهد [8] . ومن هنا تأتي الأهمية الكبيرة التي يتمتع بها الفن السابع إلى غاية اليوم، في نقل المشاعر الإنسانية بلغة يفهمها جميع البشر .

2-1 الصورة الذهنية :

مصطلح الصورة الذهنية ظهر في أوائل القرن العشرين ، حيث استعمل من طرف " ولتر لبمان"، و أصبح من المصطلحات الأساسية

---

[7] نصر الدين العياضي ، جمالية الصورة ، مجلة الإذاعة العربية ، العدد 12 ، شركة فنون للرسم و النشر و الصحافة ، تونس ، 2003 ، ص 35.

[8] Marcel ; M , le langage cinématographique , les édition du CERF. Paris , 1992, p 21.

الكثير من عمليات التأثير التي تقوم بها وسائل الإعلام لتغيير و تستهدف بشكل رئيسي ذهن الإنسان ، سعيا إلى تغيير مواقفه تجاه قضايا معينة ، أو حتى خلق مواقف إن استلزم الأمر ذلك . و هذا المصطلح مثله مثل غيره من المصطلحات الأخرى نجد له عددا كبيرا من التعريفات نذكر من بينها ما يلي :

الصورة الذهنية هي : " المفهوم العقلي الشائع بين أفراد جماعة معينة ، و يشير هذا المفهوم إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة بعينها ، أو جنس بعينه ، أو فلسفة أو قومية ، أو أي شيء آخر "[9].

وفي تعريف علي عجوة ، الصورة الذهنية هي : " الصورة الفعلية التي تتكون في أذهان الناس ،....،و قد تكون هذه الصورة من التجربة المباشرة أو غير المباشرة ، وقد تكون عقلانية ،....، و لكنها في النهاية تمثل واقعا صادقا بالنسبة لمن يحملونها في رؤوسهم "[10].

و هي كذلك : " الانطباع الذي يخلد في الذهن ، و هو تصور عقلي نحو شخص أو أي شيء ، و هذا الانطباع الذهني يحصر جميع

---

[9] Dictionnaire Webster ; Publishers of Marriam- Webster Dictionnaries , 1977 , p 571.

[10] علي عجوة ، العلاقات العامة و الصورة الذهنية ، عالم الكتب للنشر و التوزيع ، القاهرة 2003 .

الخبرات عن تلك الأشياء في عبارات محددة و تصور سريع يمر في الذهن ، أثناء سماع ذلك الاسم أو رؤية ما يمثله من صور أو منتجات "[11].

و الصورة الذهنية في تعريف آخر هي : " انطباع يرسخ في ذهن الفرد نتيجة موقف معين أو حادثة شاهدها بنفسه أو مشكلة أصرت في مجرى حياته ، حيث تخزن معلومات مرجعية عن ذلك الحدث في ذاكرة الفرد ، ويستدعيها من الذاكرة و يستخدمها في تفسير وتبرير المواقف المستقبلية ، فالصورة الذهنية يحتفظ بها الفرد نحو شيء ما ، و يكون هذا التصور العامل الرئيسي في تحديد اتجاهاته وميوله وسلوكياته وحكمه على الأمور ، و تتأثر الصورة الذهنية بإدراك الفرد وقدرته على تقييم الأمور ، و هي عبارة عن استرجاع لما أدركته الحواس في السابق للحكم على مجريات الأمور "[12].

والواقع هنالك إجماع بين جميع المهتمين بدراسة الصورة الذهنية أو النمطية كما يفضل أن يسميها البعض على أن الصورة تبنى على خبرات الفرد السابقة منذ ميلاده باحتفاظه بصورة ذهنية عما حوله في محيطه و بيئته من أشياء و أشكال و مثيرات كالألوان والإضاءة ، وبمرور الزمن يستطيع الفرد استعمال تجارب جديدة وتفسيرها وإضافتها إلى التصور الموجود لديه و دعمه أو إحداث مراجعات على

---

[11] فهد العسكر ، الصورة الذهنية ، محاولة لفهم واقع الناس و الأشياء ، دار طويق للنشر و التوزيع ، الرياض ، 1993.

[12] خالد إبراهيم حسن الكردي ، الصورة الذهنية لرجل المرور في المجتمعات العربية ، ط1 ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، 2014 ، ص 35.

هذا التصور ، في حين أن بعض الأفراد قد يلجئون إلى إعادة بناء تأمل للتصور نتيجة للخبرات الجديدة المضافة . و وسائل الإعلام الجماهيرية تركز على هذا العنصر الأخير و تلعب دورا رئيسيا في إعادة البناء هذه دون أن يشعر المتلقي بذلك و دون أن يعي بأن هنالك طرف خارجي يتدخل في صناعة أفكاره و آرائه و رؤيته للعالم و قولبتها .

ثانيا : وسائل الإعلام الجماهيرية و صناعة الصورة الذهنية لدى الرأي العام :

تقوم وسائل الإعلام بدور مهم و جوهري في المجتمع ، فهي ليست مجرد أداة للتسلية و الترويح عن النفس ، و إنما يحصل الفرد على المعلومات و الآراء و المواقف من خلال وسائل الإعلام التي تساعده على تكوين تصور للعالم الذي يعيش فيه ، فهي بذلك أداة فاعلة في صناعة الرأي العام الذي لم يعد مستقبلا للمعلومات والأخبار فقط بل أصبح يتفاعل و يتأثر فكريا و سلوكيا بما تبثه هذه الوسائل [13] .

و تعد وسائل الإعلام الجماهيرية هي من أهم قنوات نقل وتوصيل الرسائل للجماهير المتنوعة ، واضعة بعين الاعتبار أن الجمهور العريض متباين المستويات و الاتجاهات و الآراء و الصور الذهنية ،

---

[13] يوسف تمار ، نظرية Agenda setting دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية و الثقافية و الإعلامية في المجتمع الجزائري ، أطروحة دكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال ، جامعة الجزائر ، 2004-2005 ، ص 19.

على أن يتم ذلك عبر نقل المعلومات و المعارف ، بهدف توجيه فكره و تشكيل الرأي العام و سلوكه و قيمه ، و مختلف اتجاهات الجمهور المتلقي ومن تم العمل على تحقيق الصورة الذهنية أو تغييرها .

و الصورة الإعلامية التي تقدم عبر وسائل الإعلام الجماهيرية المختلفة تساهم كما سبق و أشرنا في تشكيل اتجاهات الأفراد وترسم صورا ذهنية لديهم لملامح الواقع بحقيقته و زيفه ، حيث أن دور هذه الوسائل لم يعد يقتصر على نقل المعلومات فقط[14] .

و من هذا المنطلق باتت وسائل الإعلام تشارك في صياغة الاتجاهات حول المضامين التي تبثها عن الأفراد و الشعوب من خلال ما تبثه من أحداث إخبارية و مضامين مختلفة [15]. فهي عندما تختار أسلوبا معينا من أساليب عديدة ممكنة من أجل تقديم خبر معين فإن ذلك لا يتم بشكل بريء خال من الايدولوجيا أو الأهداف المحددة مسبقا ، و إنما الأطر التي تضعها وسائل الإعلام لتحقيق ذلك تكون مصاغة بشكل يسمح بالتأثير في الجمهور المتلقي ويقوده إلى التفكير بطريقة معينة حول هذه القضية أو تلك ، والأمثلة عن هذا الأمر خلال السنوات الأخيرة باتت كثير ومتعددة بداية من

---

[14] خالد الصوفي ، علي البرهي ، دور الإعلام في تشكيل اتجاهات النخبة الأكاديمية العربية في اليمن نحو " الربيع العربي"، دراسة ميدانية ، مجلة رؤى إستراتيجية ، يناير 2015 ، ص 33.

[15] أيمن منصور ، الصورة الذهنية و الإعلامية : عوامل التشكيل و استراتيجيات التغيير ، المدينة برس للنشر ، القاهرة ، 2004، ص 111.

الصورة النمطية التي رسختها أفلام هوليود السينمائية عن الإسلام والمسلمين كمتخلفين وهمج و بشعين ثم كإرهابيين ومتعصبين ، وصولا مؤخرا إلى التركيز على ضرب القيم التي تقوم عليها المجتمعات في الصميم ، كتصوير الشذوذ الجنسي على أنه حق من حقوق الإنسان ، والتجسس حماية للأمن القومي ، و التدخل في الشؤون الداخلية للدول على أنه تحرير للشعوب المضطهدة من أيادي الدكتاتورية ، والأمثلة عن هذه القضايا لا تعد و لا تحصى .

وقد اهتم العديد من الباحثين من مجالات معرفية مختلفة بدراسة الأثر الذي يمكن أن تتركه وسائل الإعلام الجماهيرية ، وسنة 1955 توصل كل من "لازارسفيلد " و"مورتن" إلى أن هذه القدرة التي تملكها و سائل الإعلام في التأثير هي نابعة من جملة من النقاط نذكر منها [16]:

- المكانة التي تحتلها و سائل الإعلام الجماهيرية والنابعة من انتشارها الواسع و انزعاج البعض لكون الفرد العادي لا يستطيع فعل شيء أمام مضامينها ،

- التخوف من الاستغلال الذي يمكن أن يمارسه البعض بواسطة وسائل الإعلام ، بحيث يعرض وضعا اجتماعيا أو اقتصاديا أو ثقافيا على أنه الوضع المثالي .

ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بين المتغيرات الثلاثة وسائل الإعلام الجماهيرية – الرأي العام – الصورة الذهنية ، خاصة و أن دور الرأي

---

[16] يوسف تمار ، مرجع سبق ذكره ، ص 73.

العام في التأثير على الكثير من القضايا أصبح أمرا مفروغا منه وبالتحديد مع التطور التكنولوجي الهائل الذي سهل من عمل وسائل الإعلام الجماهيرية وزاد من انتشارها و نفوذها و قدرتها على تعبئة الرأي العام بسهولة ويسر ، خاصة السينما كواحدة من أقدم وسائل الإعلام الجماهيرية مكانة في المجتمعات المختلفة ، فبالرغم من التطور التكنولوجي الهائل الذي حققته شبكة الشبكات "الانترنيت" لم نفقد السينما جماهيريتها خاصة في الدول المتقدمة حيث تتهافت الجماهير على شبابيك التذاكر لمشاهدة أحدث الأفلام السينمائية التي تنتج هوليود أغلبيتها .

و لم يخف أمر أهمية التأثير الذي تمارسه وسائل الإعلام الجماهيرية منذ أكثر من ستين سنة على قادة جبهة التحرير الوطني ، الذين كان لديهم الوعي الكافي لمعرفة مدى الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الوسائل في مساندة القضية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي ، و بالتحديد السينما ، فقد كان من غير الممكن الاكتفاء بالعمل المسلح أو العمل الدبلوماسي وإنما وجب الاهتمام بكل الوسائل التي من شأنها أن توصل صوت ثورة التحرير الجزائرية إلى جميع أصقاع العالم ، حيث لم يغفل قادة الثورة مثلا عن دور الإذاعة في تكوين الرأي العام وأهميتها في الدعاية ونشر الأفكار والمواقف ، و هذا بعد مؤتمر الصومام ، و بالتحديد انطلاقا من عام 1957 أين بدأت القضية الجزائرية وأحداثها تبرز عبر وسائل الإعلام خاصة التلفزيون الذي كان يشهد في ذلك الوقت تطورا ملحوظا باعتباره

إن نقل الصورة الحقيقية لما كان يحدث في الجزائر كان أقوى من كل الطائرات و الدبابات التي اعتمدها العدو الفرنسي لإسكات صوت الشعب ، والعمل الإعلامي الذي مارسته جبهة التحرير الوطني كان بنفس أهمية و قيمة العملين المسلح و الدبلوماسي ، لأنه عمل على تحضير الأرضية المناسبة وترسيخ صورة ذهنية جديدة عن الشعب الجزائري الباحث عن استرجاع حريته و كرامته .

الهوامش :

1.نوال بن صالح ، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير ، صراع اللغة و الهوية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، العدد السابع ، 2011 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص 219.

2.إسماعيل دبش ، السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962 ، دار هومة ، الجزائر ، 2009.، ص7.

3.قاموس المنجد في اللغة و الإعلام ، دار المشرق ، بيروت ،1986 ، ص 440.

4.عبد الله الحيدري ، الصورة ، مجلة الإذاعة العربية ، العدد 02 ، شركة فنون للرسم والنشر و الصحافة ، تونس ، 2000، ص .106

5.Deutsh ; J ; Dictionnaire linguistique ; édition dictionnaires de savoirs ; «s.d »pp 344-346.

6.طارق عابدين إبراهيم عبد الوهاب ، قراءة الصورة التشكيلية بين الحقيقة و الإيحاء ، مجلة العلوم الإنسانية و الاقتصادية ، العدد الأول ، جويلية 2012 ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، ص 105.

7.نصر الدين العياضي ، جمالية الصورة ، مجلة الإذاعة العربية ، العدد 12 ، شركة فنون للرسم و النشر و الصحافة ، تونس ، 2003 ، ص 35.

Marcel ; M , le langage cinématographique , les édition du CERF. Paris , 1992, p 21.8.

9 Dictionnaire Webster ; Publishers of Marriam- Webster Dictionnaries , 1977 , p 571.